الدار الآخرة

النار فوائد وأحكام



الشيخ ندا أبو أحمد

الــدَّارُ الآخِــرَةُ

(٢٨)

النَّارُ فَوَائِدٌ وَأَحْكَامٌ

للشيخ / ندا أبو أحمد

الدَّارُ الآخِرَة
النَّــارُ فَوَائِدٌ وأَحْكَامٌ

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهـد الله فـلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـــ تعالى ـــ وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها، وكـل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

١) الجنَّة والنـــار مخلوقـــتـــــــان:

اتَّفق أهل السُّنَّة والجماعة على أن الجنَّة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن.

- يقول الطحاوي – رحمه الله – كما في "العقيدة الطحاوية":

"والجنَّة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنَّة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً".

- وقال ابن أبي العز الحنفي في "شرح كلام الطحاوي":

"وأما قوله: "والجنَّة والنار مخلوقتان" فاتفق أهل السُّنَّة على أن الجنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السُّنَّة هلى ذلك؛ حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: "بل ينشئهما الله يوم القيامة"، وكلامهم مردود بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأُمَّة".

- أما الأدلة القرآنية والتي تدل على أن الجنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن

قوله تعالى عن الجنَّة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى{١٣} عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى{١٤} عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} [النجم:١٣–١٥]

وقد رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى.

كما في ""الصحيحين"" من حديث أنس – رضي الله عنه – في قصة الإسراء، وفي آخره:

"ثم انطلق بي جبريل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنَّة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك".

وكذلك النار فقد أُعدَّت وهيئت لأهلها، كما قال تعالى عن النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤]

وفي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنَّة فمن أهل الجنَّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة".

- وأخرج ابن حبان في "صحيحه" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يُولُّون عنه، فإن كان مؤمناً..." ثم ذكر الحديث وفيه: "... ثم يفتح له باب من أبواب الجَنَّة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعدَّ الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه..." الحديث.

- وفي "صحيح مسلم" عن عائشة –رضي الله عنها- قالت: "خسفت الشمس على عهد رسول الله "- صلى الله عليه وسلم - فذكرت الحديث وفيه: "... وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجَنَّة حين رأيتموني جعلت أُقدم. ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت".

- وفى "الصحيحين" واللفظ للبخاري، عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما- قال:
"انخسفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -..." فذكر الحديث وفيه: "... فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكَعْكَعْتَ؟[1] فقال: إني رأيت الجَنَّة، فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع منها، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم، يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط".

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث بريدة - رضي الله عنه - قال:
"أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بلالاً، فقال: يا بلالُ بم سبقتني إلى الجَنَّة؟ ما دخلتُ الجَنَّة قطّ إلا سمعتُ خشختك أمامي، إني دخلت البارحة الجَنَّة فسمعت خشخشتك فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مُشرَّف، فقلت: لِمَن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب؟ قلت: أنا عربي، لِمَن هذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ من المسلمين من أُمَّةِ محمد، قلت: فأنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب..." الحديث.

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
"دخلتُ الجَنَّة فسمعتُ قراءة، فقلت: مَن هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: كذاكم البرّ كذاكم البرّ"

- زاد عبد الرزاق: "وكان حارثة أبرّ الناسِ بأُمِّه". (صحيح الجامع:٣٣٧١)

---

(١) تكَعْكَعْتَ: أي: تأخَّرت.

- وأخرج الإمام مسلم عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت؛ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجَنَّة والنار".

- وفي "الموطأ والسنن" من حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"إنما نسمة المؤمن طيرٌ تعلق في شجر الجَنَّة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة". وهذا صريح في دخول الروح الجَنَّة قبل يوم القيامة.

- وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
"لما خلق الله الجَنَّة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجَنَّة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأُمر بالجَنَّة فحفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأُمر بها فحفَّت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها". (شرح الطحاوية:٤٧٦ -٤٧٨)
ونظائر ذلك في السُّنَّة كثيرة.
- وقد عقد البخاري في "صحيحه" باباً قال فيه: "باب ما جاء في صفة الجَنَّة، وأنها مخلوقة، وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدل على أن الجَنَّة مخلوقة، منها الحديث الذي ينص على أن الله يُرِي الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجَنَّة والنار، وحديث اطلاع الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الجَنَّة والنار، وحديث رؤية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لقصر عمر بن الخطاب في الجَنَّة، وغير ذلك من الأحاديث.

- وقد كان ابن حجر – رحمه الله - مصيباً عندما قال: "وأصرح مما ذكره البخاري في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"لما خلق الله الجَنَّة، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها" (فتح الباري: ٦/٣٢٠)

- شبهة مَن قال: "النار لم تخلق بعد"

قالوا: "إن النار لم تخلق بعد، ولو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل مَن فيها ويموت؛ لقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨]

وقالوا: "ويدل على هذا أيضاً ما ثبت في "سنن الترمذي" عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لقيت إبراهيم ليلة أُسْري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أُمَّتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنَّة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غرسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

– وأخرج الترمذي كذلك عن جابر – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"مَن قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرست له نخلة في الجنَّة".

فقالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغرس معنى.

وكذلك قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ} [التحريم: ١١]

– وأجاب عن هذه الشبهة ابن أبي العز في "شرحه للطحاوية" فقال:

"إنكم إن أردتم بقولكم: "إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يردّه ما تقدَّم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعدَّ الله فيها لأهلها، وإنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث فيها عند دخولهم أموراً أخر؛ فهذا حق لا يمكن ردّه، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨]، فأُتِيتُم من سوء فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنَّة والنار الآن – نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلها!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام، فمن كلامهم: "أن المراد {كُلُّ شَيْءٍ} مما كتب الله عليه الفناء والهلاك؛ هالك، والجنَّة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش، فإنه سقف الجنَّة.

وقيل: المراد إلا مُلْكَه، وقيل: "إلا ما أُريد به وجهه"، وقيل: إن الله تعالى أنزل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن:٢٦]. فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون فقال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨]؛ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت. وإنما قالوا ذلك: توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، والدالة على بقاء الجنَّة وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يُذْكَر عن قريب، إن شاء الله تعالى. (شرح الطحاوية:٤٧٩)

٢) مـــكـــــان النــــار:

كما تعلم أن الشام هي أرض المحشر، حيث يساق الناس إليها بعد قيامهم من قبورهم بعد نفخة البعث، ودليل ذلك ما أخرجه أبو الحسن الربعي في "فضائل الشام" عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الشام أرض المحشر[1] والمنشر[2] ".

ثم يؤتى بجهنم إلى أرض المحشر؛ كما قال تعالى: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرض دَكّاً دَكّاً{٢١} وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً{٢٢} وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى{٢٣} يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر:٢٠-٢٤]

– وجاء في "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:

"يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمامٍ، مع كل زمام سبعون ألف ملكٍ يجرونها"

ويُضرَب الصراط على متن جهنم ويبدأ الناس في المرور، وهنا تبدَّل فيه الأرض غير الأرض والسموات

– ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قوله – عز وجل –: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرض غَيْرَ الأرض وَالسَّمَاوَاتُ}[إبراهيم:٤٨]، فأين يكون الناس يا رسول الله، فقال: على الصراط"

– وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً من حديث ثوبــــان – رضي الله عنه – أن رســـــول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في حديث له عندما سئل: "أين يكون الناس يوم تُبدُّل الأرض غير الأرض والسموات، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: هم في الظلمة دون الجسر..."

وممَّا سبق يتبيَّن: أن الوقت الذي يتم فيه التبديل هو وقت مرور الناس على الصراط، أو قبل ذلك بقليل.

وبعد تبديل الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات، لا نستطيع أن نجزم أين تكون جهنم،
لكن من أهل العلم من قال: "هي في الأرض السفلى"(نقل ابن رجب هذا في كتابه "التخويف من النار" عن ابن عباس – رضي الله عنه–)، ومنهم من قال: "هي في السماء"، ومنهم من توقف في ذلك: ومن هؤلاء الإمام السيوطي، والشيخ ولي الله الدهلوي، وصديق حسن خان في كتابه "يقظة أولى الاعتبار"(ص ٤٧)، وقالوا: "إن هذا هو الصواب؛ لأنه ليس هناك حديث صحيح يدل على مكان وجودها.

لكن لنا أن نقول: "إن النار تكون في موضع قبل الجنَّة، لأنه عندما يضرب على متنها الصراط، ويبدأ الناس في العبور، فمَن أجاز الصراط دخل الجنَّة، ومَن زلَّت قدمه وقع في النارـــ عياذاً بالله".

– ويدل على قرب النار من الجنَّة أن جبل الأعراف يكون بين الجنَّة والنار، قال تعالى:
{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ{٤٦} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[الأعراف:٤٦–٤٧]

(١) المحشر: أي جمعهم في ذلك المكان.
(٢) المنشر: أي عندما يبعث الناس من الموت إلى الحياة مرة أخرى.

ومما يدل على ذلك أيضاً: أنه يُؤتَى بالموت على هيئة كبش أملح ويوضع بين الجنَّة والنار كما أخبر بذلك الحبيب المختار - صلى الله عليه وسلم -.

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنَّة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رأوه ثم ينادى: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم. هذا الموت، وكلهم قد رأوه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنَّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [مريم:٣٩]".

- ومما يدل على أن النار قريبة من الجنَّة:

أن أهل النار يُكَلِّمُون أهل الجنَّة، وأهل الجنَّة يُكَلِّمُون أهل النار، وكل منهم يسمع الآخر قال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً }[الأعراف:٤٤]، فيردون بقولهم: {نَعَمْ}، وأيضاً قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ}، فيرد عليم أهل الجنَّة بقولهم: {إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف: ٥٠]

- ومما يدل على أن النار قريبة من الجنَّة:

أن قائل من أهل الجنَّة يقول: {إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ}في الدنيا ينكر البعث والآخرة، فتقول له الملائكة: "اطلع عليه في النار لتنظر إلى منزلته، وما صار إليه؛ فيطلع فإذا قرينه في وسط الجحيم، قال تعالى عن أهل الجنَّة: {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ{٥١} يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِينَ{٥٢} أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ{٥٣} قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ{٥٤}فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ}[الصافات:٥١-٥٥]

- ومما يدل أيضاً على أن النار قريبة من الجنَّة:

ما رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

"آخر مَن يدخل الجنَّة رجل فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفَع له شجرة، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله - عز وجل -: يا ابن أدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول:

لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم تُرفَع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفَع له شجرة عند باب الجنَّة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسالك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسالك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها؛ فيسمع أصوات أهل الجنَّة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟[1] أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر".

– وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:
"إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنَّة دخولاً الجنَّة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنَّة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنَّة، قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنَّة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي — أو أتضحك بي — وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنَّة منزلة".
(متفق عليه واللفظ لمسلم)

لكن بعد استقرار أهل الجنَّة في الجنَّة، وأهل النار في النار، هل يُذهَب بجهنم إلى الأرض السفلى
كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، أو يُأخَذ بها إلى مكان أخر، أو تظل مكانها قريبة من الجنَّة؟
كل هذا لا نستطيع أن نجزم به، فليس لنا إلا التوقف، كما ذهب إلى هذا الحافظ السيوطي، والشيخ ولي الله الدهلوي في كتابه "يقظة أولي الاعتبار"ـ ورجح هذا صديق حسن خان، وهذا هو الأرجح والأحوط، إذ ليس في المسألة نص. والله أعلم.

---

(١) ما يصريني منك ؟: والمعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك.

٣) خلـــود النـــار وأهلها:

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن النار خالدة لا تفنى ولا تبيد، وأهلها من الكفرة والمشركين هم فيها خالدون، بخلاف العصاة الموحدين فهم منها خارجون.

يقول ابن حزم – رضي الله عنه – في "مراتب الإجماع"(ص ١٧٣):

"النار حق، وإنها دار عذاب لا تفنى، ولا يفنى أهلها بلا نهاية".

– ويقول ابن حزم أيضاً في كتابه "الملل والنحل" (٨٣/٤):

"اتفقت فرق الأُمَّة كلها – يقصد أهل السُّنَّة – على أن لا فناء للجنَّة ولا نعيمها، ولا للنار ولا لعذابها والأدلة الدالة على خلود النار كثيرة منها:–

- أولاً الأدلة القرآنية التي تدل على خلود أهل النار، وهذا يستلزم خلود النار

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً{٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [الأحزاب:٦٤-٦٥]

قال تعالى: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٤]

قال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ{٧٤} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ{٧٥} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ{٧٦} وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ} [الزخرف: ٧٤- ٧٧]

قال تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {٩٨} لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨- ٩٩]

قال تعالى: {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٨١]

والخطيئة المقصود بها في الآية: هي الشرك

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ{٧٤} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٤-٧٥]

وقال تعالى: {وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠]

– ولما كان أهل النار خالدين فيها، فقد وصف الله تعالى عذاب النار بأنه مقيم، أي لا ينقطع

قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [المائدة:٣٧]

- أما الأدلة من السُّنَّة على خلود النار وأهلها

١- ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجَنَّة والنار فيقال: يا أهل الجَنَّة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيُؤمَر به فيذبح. قـــال: ثم قـــال: يا أهل الجَنَّة، خلـــود فلا موت، ويـــا أهل النار خلـــود فلا موت، قـــال:
ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:{وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [مريم:٣٩]

٢- وعند البخاري من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"إذا صار أهل الجَنَّة في الجَنَّة، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعَل بين الجَنَّة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجَنَّة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجَنَّة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم".

٣- وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"إذا كان يوم القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجَنَّة والنار، فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجَنَّة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار"

٤- وفي "الصحيحين" من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
"يدخل الله أهل الجَنَّة الجَنَّة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذنٌ بينهم، فيقول: يا أهل الجَنَّة لا موت، ويا أهل النار لا موت. كل خالد فيما هو فيه"

- وفي رواية: "يقال: يا أهل الجَنَّة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت"

- تنبيه مهم:

الخلود في النار أو في الجَنَّة بالنيات

- يقول الحسن البصرى – رحمه الله -: "إنما خلد أهل الجَنَّة في الجَنَّة، وأهل النار في النار بالنيات".

(الإحياء:

٣١٧/٤)

- فقد يقول قائل: "لِمَ يعذب الله الكافر بالخلود في النار مدداً لا نهاية لها، مع أن العدل يقتضي أن يعذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولِمَ يخلد المؤمن في الجَنَّة، مع أنه لم يؤمن و لم يطع إلا مدة محدودة من الزمان؟ بل قد يُسْلِم الكافر قبل الغرغرة ويدخل الإسلام، ويموت و لم يسجد لله سجدة واحدة، فيدخل الجَنَّة ويخلد فيها

والجواب عن هذا: أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبداً؛ فجوزى بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازماً وناوياً الكفر أبداً فجوزي بنيته، ويؤكد هذا قوله تعالى عن هؤلاء الذين يتمنون الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى بعد معاينة العذاب: {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }[الأنعام:٢٨]

- القائلون بفناء النار وخروج أهلها

شذَّ فريق وخالف أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة، وقالوا بفناء النار، ومن هؤلاء:-

١- الجهمية أتباع الجهم بن صفوان.

٢- ابن عربي، حيث زعم أن أهلها يعذَّبون فيها مدة، ثم تنقلب طبائعهم نارية، يتلذذون بالنار لموافقتها لطباعهم، وردَّ الحافظ – رحمه الله – في "فتح الباري"(٤٢١/١١) على هذا القول فقال:

"وهذا قول بعض مَن يُنسَب إلى التصوف من الزنادقة".

٣- أبو هذيل العلاف، وهو من أئمة المعتزلة، حيث ذهب إلى أن حياة أهل النار تفنى، ويصيرون جماداً لا يتحركون، ولا يحسون بألم.

وقال بهذا القول؛ لأنه يقول بامتناع حوادث لا نهاية لها؛ فخالف الأدلة الصريحة القطعية الثبوت، بمقاييس عقلية باطلة.

٤- وذهب البعض إلى: أن أهلها يخرجون منها، وتبقى على حالها خالدة لا تبيد.

وقفة:

ذهب اليهود إلى: أنهم يُعذَّبون في النار وقتاً محدوداً، ثم يخلفهم غيرهم فيها، وقد أكذبهم الله في زعمهم، وردَّ عليهم مقالتهم: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ{٨٠} بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـــئَتُهُ فَأُوْلَـــئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٨٠-٨١]

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ{٢٣} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}[آل عمران:٢٣-٢٤]

- ونقل ابن جرير في "تفسيره"عن ابن عباس أنه قال في تفسيره آية البقرة:

"قال أعداء الله اليهود: "لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم، الأيام التي أصبنا فيها العجل: أربعين يوماً، فإذا انقضت عنا تلك الأيام، انقطع عنا العذاب".

- وذكر ابن جرير عن السدي قوله: "قالت اليهود: "إن الله يدخلنا النار أربعين ليلة، حتى إذا أكلت النار خطايانا، نادى منادٍ: "أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل، فلذلك أمرنا أن نختن، قالوا: فلا يدعون منا في النار أحداً إلا أخرجوه".

- وذكر أيضاً ابن عباس –رضي الله عنه- قال: "ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً: إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهي إلى شجرة الزقوم ثابتة في أصل الجحيم، وكان ابن عباس يقول: "إن الجحيم سقر، وفيها شجرة الزقوم، فزعم أعداء الله أنه خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة"

قال ابن جرير: "وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي في أصل الجحيم، فقالوا: "إذا خلا العدد انتهى الأجل، فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك، فذلك قوله: {لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} [البقرة:٨٠]، يعنون بذلك الأجل، فقال ابن عباس-رضي الله عنه -: "لما اقتحموا من باب جهنم، ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة، قال لهم خزان سقر: "زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياماً معدودة فقد خلا العدد، وأنتم في الأبد، فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون" (تفسير ابن جرير: ٣١٨/١)

- شبهات مَن قال بفناء النار، والرد عليها:

الشبهة الأولى:

يحتجون بقوله تعالى: {لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً} [النبأ: ٢٣] على فناء النار، وأن أهلها سيخرجون منها بعد هذه الأحقاب، أو أنها تفنى.

- والرد على هذه الشبهة:أن هذا الفكر مردود بالآيات التي تليها، وقد قال تعالى:

{لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً{٢٣} لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً{٢٤} إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً{٢٥} جَزَاء وِفَاقاً...}

إلى قوله تعالى: {فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً} [النبأ:٢٣-٣٠]

فليس بعد الأحقاب إلا زيادة في العذاب.

الشبهة الثانية:

يقولون: "إن المقصود بالخلود طول المكث لا أبديته"، فالناس تُسمِّي أبناءها خالداً تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: "فلان خلد الله ملكه"، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمد لا إلى الأبد... وهكذا.

- والرد على هذه الشبهة: نقول: "إن الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته

قال "صاحب اللسان"(٣:١٦٤): "الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها، وإنما يطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقرينة، وقد جاء في مواضع من القرآن بوصف الخلود فيها بالأبد.

كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً{١٦٨} إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً} [النساء: ١٦٨- ١٦٩]

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً{٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً}

[الأحزاب: ٦٤ -٦٥]

وقال تعالى: {إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [الجن: ٢٣]

وزاد هذا المعنى وضوحاً، أنه جاءت بعض الآيات تنفي خروجهم من النار وتُبيِّن أن عذابهم مقيم ثابت، أي لا ينقطع، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها.

قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}[المائدة:٣٧]

وقال تعالى: {ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الجاثية: ٣٥]

الشبهة الثالثة:

يقولون: "إن عذاب أهل النار غير دائم، وأنه إلى أمد ثم ينقطع، وبعد ذلك تفنى النار

ويدل على هذا قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ{١٠٦} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضِ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٦-١٠٧]

- والرد على هذه الشبهة: أن هذه الآية لها تأويلات:-

التأويل الأول: أن قوله تعالى: {إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ} معناه: إلا مَن شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك، وأبي سنان، وغيرهم.

التأويل الثاني:أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم

التأويل الثالث: أن قوله: {إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ} فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأن خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل، كما هو مقرر في الأصول. (اليوم الآخر في القرآن العظيم: ص ٤٠٢)

وقد ردَّ العلماء على هذا الفريق الذي يقول بفناء النار وخروج أهلها منها.

يقول صديق حسن خان – رحمه الله – في كتابه "يقظة أولي الاعتبار"(ص ٤٢):

"وقد ألَّف العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي رسالة سماها "توفيق الفريقين على خلود أهل الدارين" وفي الباب رسالة للسيد محمد بن إسماعيل الأمير، ورسالة للقاضي العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني، حاصلهما بقاء الجَنَّة والنار وخلود أهلها فيهما. اهـــ

وألَّف العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفَّى سنة ٧٥٦هـ كتاب بعنوان "الاعتبار ببقاء الجَنَّة والنار".

وردَّ القرطبي على هؤلاء الذين يقولون بفناء النار، وبيَّن أن الذي يفنى إنما هو النار التي يدخلها عصاة الموحدين، فقال – صلى الله عليه وسلم -: "فمن قال: "إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السُّنَّة والأئمة العدول، وإنما تخلى جهنم، وهى الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد

- وقال القرطبي أيضاً بعد أن ساق الأدلة على خلود الجَنَّة والنار، فقال –رحمه الله- في كتابه "التذكرة"(٤٣٦): "هذه الأحاديث مع صحتها في خلود أهل الدارين فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة".

تنبيه مهم:

ذهب بعض أهل العلم إلى: أن الله يخرج من النار مَن يشاء، كما ورد في الأحاديث، ثم يبقيها مرة، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

وقد مال شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله تعالى رحمة واسعة– لهذا القول، وهنا لنا وقفات مع هذا القول:–

الوقفة الأولى:

أن هذا القول باطل مردود – وإن ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وتليمذه ابن القيم – وهما اللذان علَّما العالم كله إن حب الحق ينبغي أن يكون مقدَّماً على حب الرجال، ومن الحق المعلوم هو خلود الجَنَّة والنار، ذلك للأدلة قطعية الثبوت، قطعية الدلالة على هذا الأصل الأصيل، وقد رد الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه "الاعتبار ببقاء الجَنَّة والنار" على هذا القول فأجاد: "والأدلة التي احتج بها شيخ الإسلام وابن القيم على فناء النار بعضها غير صحيح، والصحيح منها غير صريح، وقد ناقش الصنعاني في رسالته المسماة "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار" أدلة شيخ الإسلام وابن القيم وبين عدم نهوضها على ما ذهبا إليه.

الوقفة الثانية:

من المعلوم أن العصمة رُفِعَت بموت النبي – صلى الله عليه وسلم –، فلا عصمة لأحد بعده، فالكل يؤخذ منه ويرد، إلا الحبيب النبي – صلى الله عليه وسلم –، وما وقع فيه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم يذوب في بحر حسناتهما، وأن لهم من الفضل ما لهم، وعليه... فلا يجوز بحال من الأحوال ذم شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم بسبب هذه المقالة، فقد كفَّرَهُما قوم، وفسَّقَهُما قوم بسبب ذلك؛ وكل هذا ليس بصواب، فإنهما مجتهدان مأجوران مثابان، ولو علما الحق في خلاف قولهما لاتبعاه، ودعوى أن المخالف في مثل هذا يكفر قائله، يُوصِلِ القائلين بهذا إلى تكفير أئمة هذه الأُمَّة الذين لا يُمارى في إمامتهم، فإن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يذهب إلى: "أن المسافر إذا لم يجد ماء لا يتيمم ولا يُصلِّي" و قد اتفقت الأُمَّة على خلاف هذا، وكان بعض الصحابة يرون عدم المسح على الخفين، وقال أقوام بعدم زيادة الإيمان أو نقصانه، مع كون هذا الأمر مثبت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع منعقد عليه.

الوقفة الثالثة:

ينبغي أن نحسن الظن بشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، فيمكن حمل ما ذهبا إليه على غير فناء النار، بل على فناء النار التي يكون فيها عصاة الموحدين، وخصوصاً أنه جاء في أقوال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم بعدم فناء النار.

يقول شيخ السلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٨/٣٠٧):

"وقد اتفق سلف الأُمَّة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على: أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجَنَّة والنار والعرش... وغير ذلك، كالجهم بن صفون ومَن وافقة من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله، وسُنَّة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وإجماع سلف الأُمَّة وأئمتها". اهـــ

وإذا كان الأمر كذلك، وعلمنا أن لهما قولان، فلا يجوز أن نجزم بأن القول بفناء النار هو قولهما، ما لم يعلم أنه القول الأخير، وإذا لم يعلم القول الأخير؛ فالأولى التوقف في نسبة أحد المذهبين إليهما.

(انظر الجَنَّة والنار لعمر سلميان الأشقر)

٤) لكل إنسان مقعد في الجنَّة ومقعد في النار:

- فقد أخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
"ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنَّة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار وَرِثَ أهل الجنَّة منزله، فذلك قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون:١٠]"

(صحيح الجامع:٥٧٩٩)

- ونقل ابن كثير – رحمه الله - في "تفسيره" هذه الآية عن مجاهد أنه قال:
"ما من عبدٍ إلا وله منزلان: منزل في الجنَّة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنَّة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنَّة، ويبني بيته الذي في النار"، وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك.
فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خُلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له؛ أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم - عز وجل -، بل أبلغ من هذا أيضاً وهو ما ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"يجيء ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال؛ فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى".
- وفي لفظ آخر عند مسلم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -:
"إذا كان يوم القيامة، دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقال: هذا فكاكك من النار"، ثم قال ابن كثير - صلى الله عليه وسلم -: "وهذه الآية كقوله تعالى:{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[الزخرف:٧٢]
اهـ (مختصر تفسير ابن كثير: ٢/٦٨٥)
- وأخرج الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:
"إذا كان يوم القيامة، أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأُمَّة رجلاً من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار".

٥) أهل النار يرون مقاعدهم قبل الدخول فيها، وذلك بعد الموت:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إن أحدكم إذا مات، عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجَنَّة فمن أهل الجَنَّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"

- وأخرج ابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إن الميت يصيـــرُ إلى القبر، فيجلس الرجلُ الصـــالح في قبره غير فزعٍ ولا مشغوفٍ، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت على الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قِبلَ النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قِبلَ الجَنَّة. فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك. ويقال: على اليقين كنتَ، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوفاً، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قِبلَ الجَنَّة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صَرَفه الله عنك، ثم يفرج له فرجة قِبلَ النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنتَ، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى".

٦) علم الله تعالى بأهل الجَنَّة وأهل النار، وكتابة هذا في اللوح المحفوظ:

١- أخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال:

"خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا: لا يا رسول الله إلّا أن تخبرنا، فقال للذى في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجَنَّة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم [1]، فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال للذى في شماله: هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم، فلا يزاد منهم، ولا ينقص منهم أبداً، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه؟ فقال: سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجَنَّة يختم له بعمل أهل الجَنَّة، وإن عمل أي عملٍ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيديه فنبذهما، ثم قال: فرغ ربكم من العباد، فريق في الجَنَّة، وفريق في السعير"

(صححه الألباني في صحيح الترمذي)

٢- وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"إن الله تعالى خلق الجَنَّة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً".

٣ – وأخرج الإمام مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت:

"دُعِيَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجَنَّة لم يعلم السوء ولم يدركه، قال: أوغير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم".

٤- وأخرج البخاري عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال:

"قال رجل: يا رسول الله، أَيُعْرَف أهل الجَنَّة من أهل النار؟ فقال: نعم، قال: فلم يعملون؟ قال: كلٌّ يعمل لما خُلِقَ له أو يسّر له"

---

(١) أُجمل على آخرهم: أي جمعوا أهل الجَنَّة وأهل النَّار على آخرهم، وعُقدت جملتهم، فلا يتطرق إليها زيادة أو نقصان.

- وأخرج البخاري ومسلم عن عليٍّ - رضي الله عنه - قال:

"كنا في جنازة في بقيع الفرقد [1] فأتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخْصَرة [2] فنكّس [3] فجعل ينكث بمخصرته [4]، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفسٍ منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجَنَّة أو النار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: مَن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومَن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. فقال: اعملوا فكل مُيَسَّر، أما أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة ،وأما أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى{٥} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى{٦} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى{٧} وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى{٨} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى{٩} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٥-١٠]"

- وأخرج الإمام مالك والترمذي وأبو داود عن مسلم بن يسار قال: "سُئِل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن هذه الآية: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }[الأعراف:١٧٢]، قال عمر: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُسْأَل عنها، فقال: إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجَنَّة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجَنَّة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجَنَّة، فيدخله الله الجَنَّة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار؛ فيدخله الله النار"

- أخرج البزار والطبراني في "الكبير" عن هشام بن حكيم – رحمه الله - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف:١٧٢]، ثم أفاض [5] بهم في كفيه، فقال: هؤلاء في الجَنَّة وهؤلاء في النار، فأهل الجَنَّة مُيَسَّرون لعمل أهل الجَنَّة، وأهل النار مُيَسَّرون لعمل أهل النار" (صحيح الجامع:١٧٠٢)

دفع توهم، ورفع إشكال

ربما ينظر البعض للأحاديث السابقة، ويقول: "إن الله تعالى قد كتب على كل نفس مكانها في الجَنَّة والنار، وقد رفعت الأقلام عن هذا، وجفَّت الصحف بهذا، فيقول لنفسه: لِمَ العمل؟ فيتقاعد عن العمل متكلاً عما جرى به القدر.

- الرد على هذا الإشكال:

نقول وبالله التوفيق: "إن الإيمان بالقدر لا يوجب الاتكال وترك العمل، فالذي أمرنا بالإيمان بالقدر هو الذي أمرنا بالأخذ بالأسباب، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا؛ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".

---

(١) بقيع الفرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٢) المخصرة: عصا صغيرة، وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالباً للاتكاء عليها.

(٣) نكّس رأسه: خفضه.

(٤) فجعل ينكس بمخصرته: أي يخط بمخصرته في التراب.

(٥) أفاض بهم: أي: قلبهم ونثرهم.

- وجاء في "سنن الترمذي" عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال:
"يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه، أمر مبتدع أو مبتدأ، أو فيما فرغ منه؟ فقال: فيما فرغ منه يا ابن الخطاب، وكلٌّ مُيَسَّر، أما مَن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما مَن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء".

- وأخرج الإمام مسلم عن جابر - رضي الله عنه - قال:
"جاء سراقة بن مالك بن جُعْشم، فقال: يا رسول الله، بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأقلام، وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: لا. بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ فقال: اعملوا فكل مُيَسَّر"
– وفي رواية: "كلٌّ عامل مُيَسَّر لعمله".

- قال النووي – رحمه الله -: "وفى هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكلٌّ مُيَسَّر لما خلق له". اهـ

فخلاصة ما سبق في هذه الأحاديث السابقة:

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يبيِّن لنا فيها أنه ينبغي علينا أن نعمل ولا نتَّكل عما جرى به القدر، فقال: "اعملوا، فالإنسان منا لا يدري هل هو من أهل السعادة، أم من أهل الشقاء"، وعليه فإنه ينبغي عليه أن يسعى للسعادة والأخذ بأسبابها.

- ويدلك على هذا الأمر الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدَّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يُجْمَع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد".

- وفي رواية عند البخاري من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"وكَّل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة، أى رب علقة، أى رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فكتب كل ذلك في بطن أمه".

فتجد في هذا الحديث أن الرزق قد قُدِّر على الإنسان ومع هذا فهو يسعى إليه، ويأخذ بالأسباب في طلبه، فليس هناك عاقل يقول: "سأجلس في بيتي ويأتيني رزقي، فالله تعالى قد قدَّره عليَّ، فنقول هذا ظن فاسد واعتقاد باطل، فالسماء لا تمطر ذهباً، فعلى الإنسان أن يجدَّ ويجتهد في طلب الرزق ويسعى إليه وكذلك السعادة والشقاء كتبا على الإنسان، ولكن عليه أن يأخذ بالأسباب في تحصيل السعادة والأخذ بأسبابها، وترك ما يؤدي إلى الشقاء.

إشكال آخر والرد عليه:

في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنَّة ولا أبالي، وقال للذي في كَفِّه اليسرى: إلى النار ولا أبالي".

- وأخـــرج الإمـــــام أحمد والحــــــاكم عن عبد الرحمن بن قتـــــادة السلمي أنه قــــال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن الله – عز وجل – خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء في الجَنَّة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، قال: فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر".

(صحيح الجامع:١٧٥٨)

- وفي رواية أخرى عند أبي يعلى من حديث أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله قبض قبضةً، فقال: هذه إلى الجَنَّة برحمتي، وقبض قبضةً، فقال: هذه إلى النار ولا أبالي".

(صحيح الجامع: ١٧٨٤)

فظن البعض من خلال قراءته لهذه الأحاديث، أن هذا الأمر تمَّ بلا إحكام أو إتقان، أو جاء مجازفة أو عن طريق الحظ.

وهذا فيه إساءة أدب مع الله، وقدح في أول ركن من أركان الإيمان بالقدر، وهو الإيمان بعلم الله الشامل، وأن الله تعالى محيط بكل شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل، فهو سبحانه عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم، وأحوالهم، ومَن هم أهل السعادة ومَن هم أهل الشقاء، وذلك قبل أن يخلقهم، بل وقبل خلق السماوات والأرض وكل ذلك مقتضى اتصافه بالعلم.

قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الحشر:٢٢]

وقال تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ}

[سبأ:٣]

وقال تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم:٣٢]

وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }[النحل:١٢٥]، [القلم:٧]

فأهل القبضة التي قال تعالى عنهم: "هؤلاء إلى النار ولا أبالي"، لم يكن هذا إلا عن علم، فالله تعالى علم من حالهم أنهم لم يؤمنوا، كما قال تعالى عن هولاء الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى {وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ} [الأنفال: ٢٣]

وقال كذلك عن الكفرة الذين عاينوا العذاب فتمنوا الرجوع إلى الدنيا للتوبة وإصلاح الزاد: {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} [الأنعام:٢٨]، فالذي يضله الله ويدخله النار إنما يكون ذلك على علم، كما قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ}[الجاثية:٢٣]

– قال ابن القيم –رحمه الله–: "أضله الله تعالى عالماً به وبأقواله وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده، وأنه أهل الضلال وليس أهلاً أن يهدى، وأنه لو هدي لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند مَن لا يستحقه" اهـ

– ويقول الشيخ الألباني – رحمه الله – في "سلسلته الصحيحة"(ج١ /٥٠):

"إن كثيراً من الناس يتوهَّمون أن هذه الأحاديث – ونحوها أحاديث كثيرة – تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية، ما دام أنه حُكم عليه منذ القديم وقبل أن يخلق بالجنَّة أو النار، وقد يتوهَّم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ، فمَن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومَن كان في القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعاً أن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[الشورى:١١]، لا في ذاته ولا صفاته، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته، فهو تعالى قبض باليمنى على مَن علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على مَن سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته، ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على مَن هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس، كيف والله – عز وجل – يقول: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ{٣٥} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:٣٥-٣٦].

ثم إن كلاً من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابها أن يكونوا من أهل الجنَّة أو من أهل النار، بل هو حكم من الله – تبارك وتعالى – عليهم، بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنَّة، أو كفر يقتضي النار والعياذ بالله تعالى منها، وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان لا يكره الله – تبارك وتعالى – أحداً من خلقه على واحد منهما: {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ} [الكهف:٢٩]

وهذا مشاهد معلوم بالضرورة، ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثاً، والله مُنزَّه من ذلك. اهـ

٧) هل تُرَى النار قبل يوم القيامة؟

رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – النار في حياته، ورآها ابن عمر ولكن رؤية منامية، وسيراها قبل يوم القيامة الميت إذا دخل قبره، حيث يعرض عليه في البرزخ مقعده من الجنَّة والنار، وإليك أخى الحبيب الأدلة على هذا:–

أولاً: رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – للنار:

طوى الله تعالى لنبيه الزمان طياً، فرأى أهل النار يُعذَّبون فيها، ومَن رأى ليس كمَن سمع

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط" عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"ليس الخبر كالمعاينة". (صحيح الجامع:٥٣٧٣)

فرأى النبي – صلى الله عليه وسلم – في النار ما يشيب له الولدان، ثم نقل إلينا ما رآه حتى نتَّقيه ونكون على حذر منه، ونزداد يقيناً.

– وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم عن حذيفة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

"أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نُزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس، ففتحت لي أبواب السماء، ورأيت الجنَّة والنار".

– وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:–

"والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت؛ لضحكتم قليلاً؛ ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنَّة والنار".

والمؤمن الصادق يصدق عيني النبي – صلى الله عليه وسلم – أكثر مما يصدق عينيه

– ونقل ابن القيم – رحمه الله – كما في "مدارج السالكين" عن بعض السلف أنه قال:

"رأيت الجنَّة والنار حقيقة، فقيل له: كيف؟ قال: رأيتهما بعيني رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورؤيته لهما بعينيه آثر عندي من رؤيتي لهما بعيني، فإن بصري قد يطغى ويزيغ، بخلاف بصره – صلى الله عليه وسلم –".

تنبيه: اطلاع النبي – صلى الله عليه وسلم – على النار ورؤية لها، من المسائل المختلف فيها

وقد نقل الإمام النووي في "شرحه لمسلم" (٤٨٠/٣) قول القاضي عياض – رحمه الله – حيث قال: "قال العلماء: "يحتمل أن رآها رؤية عين، كشف الله تعالى عنها وأزال الحجب بينه وبينها، كما فرج عن المسجد الأقصى حين وصفه.

وقالوا: "ويحتمل أن يكون رؤية علم وعرض وحس بإطلاعه وتعريفه من أمورها تفصيلاً ما لم يعرفه قبل ذلك، ومن عظيم شأنها ما زاده علماً بأمرها وخشية وتحذير ودوام ذكر.

والتأويل الأول أولى، وأشبه بألفاظ الحديث، لما فيه من الأمور الدالة على رؤية العين له، كتناوله من العنقود، وتأخره مخافة أن يصيبه لفح النار". اهـــ

وكأن القاضي يشير إلى حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – والذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "انخسفت الشمس على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فصلّى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقام قياماً طويلاً نحوا من قراءة سورة البقرة، ثم ركَع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً، وهو دون الركوع الاول، ثم سجد، ثم انصرف وقد تجلَّت الشمس فقال: – صلى الله عليه وسلم – إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فاذكروا الله، قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت[1]، قال – صلى الله عليه وسلم –: إني رأيت الجَنَّة، فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أرَ منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء،

قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط"

– وأخرج ابن عوانة عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال:

"كسفت الشمس على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في يوم شديد الحر، فصلّى رسول – صلى الله عليه وسلم – بأصحابه فأطال القيام حتى جعلوا يخرُّون، قال: ثم ركع فأطال، ثم رفع فأطال، ثم ركع فأطال، ثم رفع فأطال، ثم سجد سجدتين، ثم قام فصنع مثل ذلك، فكانت أربع ركعات وأربع سجدات، وجعل يتقدَّم ويتأخَّر يتأخَّر في صلاته، ثم أقبل على أصحابه، فقال: إنه عُرضت عليَّ الجَنَّة والنار، فقُرِّب مني الجَنَّة حتى لو تناولت منها قِطفاً ما قصرت يدي عنه — أو قال: نلته، شكَّ هشام – وعُرضت عليَّ النار فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاكم، ورأيت امرأة

حميرية سوداء طويلة تُعذَّب في هرة ربطتها، فلم تطعمها، و لم تسقها، و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض، ورأيت فيها أبا ثمامة – وقال وهب: أبا أمامة عمرو بن مالك – يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار[2] وأنهم كانوا يقولون: إن الشمس والقمر لا تنكسفان – قال وهب: تُخْسَفَان – إلا لموت عظيم، وإنهما آيتان من آيات الله، يريكموها الله، فإذا انكسفتا، فصلُّوا حتى تنجلي"

---

(١) تكعكعت: تأخرت.

(٢) يَجُرُّ قُصْبَهُ: القصب هي الأمعاء.

ثانياً: رؤية ابن عمر– رضي الله عنه – للنار.

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عمر– رضي الله عنه – قال:

"إن رجالاً من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فيقُصُّونها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فيقول فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن وبيتي المسجد قبل أن أَنْكِح، فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم في خيراً فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد يقبلا بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقيت ملك في يده مقمعة من حديد، فقال: لن تراع، نِعْمَ الرجل أنت لو تكثر الصلاة، فانطلقوا بي حتى وقفوا بى على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر، له قرون كقرن البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالاً مُعلَّقِين بالسلاسل، رءوسهم أسفلهم، عرفتُ فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي ذات اليمين فقصصتها على حفصة؛ فقصَّتْها حفصة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إن عبد الله رجلٌ صالحٌ، قال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة".

ثالثاً: رؤية المقبور لمقعده في النار إن كان من أهلها.

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"العبد إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل محمد – صلى الله عليه وسلم –، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنَّة، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: فيراهما جميعاً، وأما الكافر – أو المنافق – فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها ما يليه إلا الثقلين"

وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن الميت إذا وُضِعَ في قبره إنه يسمعُ خفقَ نعالِهِم حين يُولُّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيُؤْتى من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يُؤْتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخلٌ، ثم يُؤْتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يُؤْتى من قِبل رجليه، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخلٌ. فيقال له: اجلس، فيجلِس، وقد مثلت له الشمس وقد اُدْنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دَعُوني حتى أُصلِّي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرني عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه، وماذا تشهدُ عليه؟ قال: فيقول: محمدٌ، أشهدُ أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك متّ، وعلى ذلك تُبعَث إن شاء الله، ثم يُفتَح له باب من أبواب الجَنَّة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعدَّ الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويُنوَّر له فيه، ويُعاد الجسد لما بدأ منه، فتَجْعل نسمتُهُ في النَّسَم الطيب، وهي طير يعلق في شجر الجَنَّة، قال فذلك قوله تعالى:

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[إبراهيم:٢٧] إلى آخر الآية، قال:

وإن الكافر إذا أُتِيَ من قبل رأسه، لم يوجد شيء، ثم أُتِيَ عن يمينه، فلا يوجد شيء، ثم أُتِيَ عن شماله، فلا يوجد شيء، ثم أُتِيَ من قبل رجليه، فلا يوجد شيء، فيقال له: اجلس: فيجلس خائفاً مرعوباً، فيقال له: أرايتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقال: الذي كان فيكم، فلا يهتدي لاسمه، حتى يقال له: محمد، فيقول: ما أدري، سمعت الناس قالوا قولاً، فقلت كما قال الناس، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعل ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يُفتَح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار، وما أعد الله لك فيها؛ فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يُفتَح له باب من أبواب الجَنَّة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجَنَّة، وما أعدَّ الله لك فيه لو أطعته؛ فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }[طه:١٢٤]

٨) لا يُعذِّب بالنار إلا رب النار:

فالله تعالى وحده هو الذي يعذب بالنار، ولا أحد غيره.

فقد أخرج أبو داود من حديث حمزة الأسلمي - رضي الله عنه -: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمَّره على سرية وقال له: "إن وجدتم فلاناً فاحرقوه بالنار، قال حمزة الأسلمى: فولَّيت فناداني، فرجعت إليه، فقال: إن وجدتم فلاناً فاقتلوه ولا تُحرقوه، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار"

(صحيح أبي داود:٣٢٧)

- وفي "سنن أبي داود" أيضاً: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى قرية نمل قد حرَّقها أصحابه، فقال: مَن حرَّق هذه؟ قال الصحابة: نحن، قال: إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار".

٩) بعث النار وهم أهل الشرك والكفر وهم أكثر مَن يدخل النار:

قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف:١٠٣]

وقال تعالى لإبليس: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: ٨٥]

فكل مَن اتبع الشيطان وكفر بالرحمن؛ فهو من أهل النيران، وهم كُثر، ويدلك على هذا ما أخبر به الحبيب العدنان - صلى الله عليه وسلم - في قلة مَن تبعوا الرسل، وكثرة مَن رفضوا دعوتهم وخالفوهم.

ففي "صحيح مسلم" من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"عُرِضت عليَّ الأُمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد..." الحديث.

١٠) وأهل التوحيد الذين يدخلون النار هم قلة قليلة بالنسبة للكفار:

فقد روى البخاري في "صحيحه" عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قـال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يقـول الله:

"يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، ثم يقول: أخرج بعث النار(١)، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد. فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً ومنك رجل، ثم قال: والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجَنَّة، قال: فحمدنا الله وكبَّرنا. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجَنَّة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار".

(١) "أخرج بعث النار": أي المبعوثين الموجهين إلى النار، وقوله: أخرج بعث النار أى مَيِّز أهل النار عن غيرهم.

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين- رضي الله عنه - :
"أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وهو في بعض أسفاره وقد تفاوت بين أصحابه السَّيْر، رفع بهاتين الآيتين صوته: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ{١} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أرضعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:١-٢]. فلما سمع أصحابه ذلك حثوا المطي، وعرفوا أنه عند قول يقوله، فلما دنوا حوله، قال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قال: ذلك يوم ينادى آدم - عز وجل -، فيناديه ربه - عز وجل -، فيقول: يا آدم ابعث بعثاً إلى النار. فيقول: يارب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين إلى النار وواحد في الجَنَّة، قال: فأبلس أصحابه، حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلما رأى ذلك، قال: أبشروا واعملوا، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج ،ومَن هلك من بني آدم وبني إبليس: قال فَسُرِّيَ عنهم، ثم قال: اعملوا وأبشروا، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقمة في ذراع الدابة".

- وروى الترمذي في "سننه" عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لما نزلت: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}[الحج:١]، قال: "نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر، فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجَنَّة، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قاربوا وسدِّدوا، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، قال: فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمَّت ، وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم ومثل الأمم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة، أو كالشامة في جنب البعير، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجَنَّة فكبّروا، ثم قال: ولا أدري، أقال: الثلثين أم لا؟" (وكذا رواه الإمام أحمد، وقال الترمذي فيه: هذا حديث حسن صحيح)

تنبيه:

هناك حديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
"أول مَن يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين، فقالوا: يا رسول الله، إذا أُخِذ منّا من كل مائة تسعة وتسعون، فما بقي منا؟ قال: إن أُمَّتِي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود".

فلعل قائل يقول: "فكيف يمكن الجمع بين حديث أبي هريرة هذا: "أن يخرج من كل مائة تسعة وتسعين"، وبين حديث أبي سعيد وغيره: "أن يُخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين"

والجواب عن هذا: هو حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم، بما فيهم يأجوج ومأجوج، فيكون من كل ألف واحد فقط من أمة النبي – صلى الله عليه وسلم – يدخل النار، ويحمل حديث أبي هريرة على مَن عدا يأجوج ومأجوج، فيكون من كل مائة واحد. والله أعلم. (انظر فتح الباري:١/٩٣٠)

- أبشر... واحذر

أبشر فقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه بأنه يدخل النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فاشتد على أصحابه ذلك، فبشَّر أصحابه فقال: "أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل".

فاياك أخي الحبيب أن تحملك هذه البشرى على القعود عن العمل، واحذر أن تكون أنت هذا الرجل الذي يُزَجُّ به في النار، وكان عمر – رضي الله عنه – يقول: "لو نادى منادٍ من السماء: يا أيها الناس إنكم داخلون الجنَّة كلكم إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا هو" (أخرجه أبو نعيم)

فهذا عمر – رضي الله عنه – الذي بشَّره النبي – صلى الله عليه وسلم – بالجنَّة، فماذا نقول نحن؟ فعلينا ألا نتَّكِل على البشارات التي ساقها النبي – صلى الله عليه وسلم – لنا ونقعد عن العمل، فالمؤمن مهما فعل من الطاعات لا يسكن روعه، ولا يرتاح خاطره حتى يترك جسر جهنم وراءه.

وقد كان معاذ بن جبل – رضي الله عنه – يقول: "إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه".
(الإحياء:
١٩٨/٤)

فالمؤمن لا يهدأ، بل يظل في الحياة ساعياً، وكأنه في مهمة لابد أن يدركها، راكضاً وراء هدف حتى يلحق به، ولا يستريح أبداً حتى يتحصَّل عليه، والهدف المنشود هو دخول الجنَّة والنجاة من النار.

فاللهم إنا نسألك رضاك والجنَّة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

(١) خروج أهل التوحيد من النار:

ففي "الصحيحين" من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة،

ثم يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة،

ثم يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرَّة"

- وهؤلاء يخرجون بشفاعة الشافعين، كما أخبر بذلك النبي الأمين - صلى الله عليه وسلم -

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال: بخطاياهم— فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً؛ أُذِنَ بالشفاعة فجيء بهم ضَبَائِر ضَبَائِرَ[١] فبثوا[٢] على أنهار الجنَّة، ثم قيل: يا أهل الجنَّة، أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبَّة تكون في حَمِيل السَّيْل[٣]" (صحيح الجامع: ١٣٥٠)

ففي هذا الحديث أن الله تعالى يأذن في الشفاعة؛ فيشفع الشافعون في هؤلاء الذين دخلوا النار حتى يخرجوا منها بإذن العزيز الغفار، ومن هؤلاء الشفعاء:-

١- شفاعة المؤمنين:

فالمؤمنون يشفعون لإخوانهم الذين دخلوا النار، فيقبل الله شفاعتهم ويأذن لهم في أن يخرجوهم من النار فيفعلوا، ففي حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - وفيه:

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:"... حتى إذا خلصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشد مناشدة لله، في استقصاء الحق[٤] من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا مَن عرفتم، فَتُحَرَّم صورهم على النار، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً قد أخذت النارُ إلى نصف ساقيه والى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بَقِيَ فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير[٥] فأخرجوه، فيُخرِجُون خلقاً كثير، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نَذَرْ فيها خير[٦]"

---

(١) ضبائر: أي جماعات في تفرقة.

(٢) فبثوا: معناه فُرقوا.

(٣) الحبَّة في حميل السيل: الحَبّة بالكسر: بذور البقول وحب الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وحميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء... وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعته عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٤) في استقصاء الحق: أي تحصيله من خصمه والمتعدي عليه.

(٥) من خير: قيل: "الخير هنا: اليقين، والصحيح أن معناه: شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون التجزُّؤ لشيء زائد عليه: من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب: من شفقة على مسكين، أو خوف من الله تعالى، ونية صادقة.(قاله القاضي عياض)

(٦) لم نذر فيها خيْراً: هكذا هو خير بإسكان الياء، أي صاحب خير.

٢- شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم -:

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يشفع لِمَن دخل النار من أهل التوحيد، فيَقْبَل الله تعالى شفاعته فيهم، فيخرج من النار خلق كثير. ففي حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في هذا الحديث:

"... ثم أنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذَن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامدَ لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخرُّ لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقول: انطلق فمَن كان في قلبه حبة من بُرَّةٍ [1] أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرِجْه منها، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أرجعُ إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار فأنطلقُ فأفعلُ.

قال: ثم أرجعُ إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي:

يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: فليس ذلك لك، أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزَّتي وكبريائي وعظمتي لأُخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله"

- وفي رواية أخرى:"فأستأذنُ على ربي، فيُؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع، قل يُسْمَع، سل تعطه، اشفع تُشفَّع، فأرفعُ رأسي، فأحمدُ ربي بتحميد يُعَلِّمُنيه ربي، ثم أشفع، فيُحدّ لي حداً، فأخرجُهم من النار، وأدخلهم الجنَّة، ثم أعود فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع يا محمد، قل يُسْمَع، سل تعطه، اشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيُحدّ لي حداً، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنَّة، قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، قال قتادة: أي من وجب عليه الخلود"

(أخرجه البخاري ومسلم)

---

(١) البرة: حبة القمح أو الشعير.

- وأخرج الإمام مسلم عن زيد الفقير قال: "مررنا على المدينة؛ فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالساً إلى سارية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: فإذا هو ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما هذا الذي تحدثون، والله يقول: {إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}[آل عمران:١٩٢]، وقال تعالى: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة:٢٠]، فما هذا الذي تقولون؟ فقال حذيفة: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: ثم نعت وضع الصراط، ومُرُور الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم [(١)] قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنَّة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس [(٢)]"

٣- رحمة رب العالمين بعباده الموحدين وخروجهم من نار الحميم:

فالله تعالى يُخرِج من النار مَن يشاء من عباده، ممَّن وحدوه و لم يشركوا به شيء

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"يُدخِل اللهُ أهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يدخل مَن يشاء في رحمته، ويُدخِل أهلَ النارِ النارَ، ثم يقول: انظروا مَن وجدتم في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيخرجون منها حمماً قد امتُحشوا [(٣)]، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحبَّة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟"

---

(١) عيدان السماسم: هو السمسم المعروف، وعيدانه إذا تركت في الشمس اسودَّت، وشبههم به في شدة السواد.

(٢) القراطيس: أي الورق، وشبههم به في شدة البياض.

(٣) امتُحشوا: يعني: احترقوا.

- وفي "صحيح البخاري" عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "قال الله - عز وجل - يوم القيامة: "شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين، فيقبض قبضة من النار[١]، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط [٢]، قد عادوا حُمماً[٣]، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجَنَّة[٤] يُقالُ له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرُجُ الحبَّة في حميل السَّيل[٥]، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أُصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ، وما يكونُ منها إلى الظل يكُونُ أبيض، فيَخرجون كاللُّؤلؤ، في رقابهم الخواتِمُ[٦] يعرفُهم أهلُ الجَنَّة: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار[٧]، الذين أدخلهم الجَنَّة بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه، ثم يقول: ادخلوا الجَنَّة فما رأيتموهُ فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً"

وقفة مع قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث السابق: "فيقبض قبضة من النار"

ولا يعلم أحد من خلق الله قدر قبضة الخالق - رضي الله عنها -، لكن أحب أن أُذَكِّرَ بقوله تعالى:

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:٦٧]

ليتبيَّن لك سعة رحمة الله تعالى بعباده، فكم سيخرج من النار بقبضة العزيز الغفَّار؟

---

(١) أي يجمع جماعة من الخلق.

(٢) *قال القاضي عياض رحمه الله* :"فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم، وإنما دلَّت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان؛ وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين — صلوات الله وسلامه عليهم — وتفرَّد الله سبحانه وتعالى بعلم ما تكنه القلوب، والرحمة لَمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان.اهـ (انظر "صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٣١).

(٣) قد عادوا حُمماً: "عادوا" أي: "صاروا"، وليس بلازم في "عاد" أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم: فهو الفحم، واحدته حممة: كحطمة.

(٤) في أفواه الجَنَّة: الأفواه: جمع "فُوَّهة"، وهي الأوائل، *يقال:*"أفواه الأزقة والأنهار يعني أوائلها، *قال صاحب المطالع:* "كأن المراد في الحديث: مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها".

(٥) الحبَّة في حميل السَّيل: "الحبة" بالكسر: بذور البقل وحب الرياحين، *وقيل:* "هو نبت صغير ينبت في الحشيش"، وحميل السَّيل: هو ما يجيء به السيل من طين أوغثاء... وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل؛ فإنما تنبت في يوم وليلة، فشبَّه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٦) فيَخرجون كاللُّؤلؤ في رقابهم الخواتِمُ: الخواتم جمع: "خاتم"، بفتح التاء وكسرها، *قال صاحب التحرير:* "المراد بالخواتم هنا: أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يعرفون بها، قال: "معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ".

(٧) هؤلاء عُتقاءُ الله من النار: أي يقولون: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار.

- صور من رحمة الله بعباده يوم القيامة

أخرج الإمام مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"يخرج من النار أربعة، فيعرضون على الله - عز وجل -، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها، قال: فينجيه منها".

- وفى رواية عند ابن حبان:"فليلتفت فيقول: يا رب، ما كان هذا رجائي فيك، فيقول: ما كان رجاؤك؟ قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيرحمه الله فيدخله الجَنَّة"

فوائد و تنبيهات:

١- إذا دخل أهل التوحيد النار بذنوبهم، فإن النار لا تأكل موضع السجود

فقد أخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم الله - عز وجل - على النار أن تأكل أثر السجود"

٢- حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن آخر رجل من أهل التوحيد خروجاً من النار

أخرج الإمام مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إني لأعرفُ آخر أهل النار خروجاً من النار، وآخر أهل الجَنَّة دخولاً الجَنَّة: رجلٌ يُؤتَى به يوم القيامة، فيقال: اعْرِضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب عملت أشياء لا أراها هاهنا"

قال أبو ذر - رضي الله عنه -: "فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضحك حتى بدت نواجذه".

٣- عندما يخرج أهل التوحيد من النار يتمنَّى أهل الشرك والكفر أن لو كانوا مسلمين

- أخرج الطبراني من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"إذا إجتمع أهل النار في النار، ومَن شاء الله معهم من أهل القبلة. قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار، فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله - عز وجل - ما قالوا، فيأمر بإخراج مَن كان في النار أهل القبلة، فيخرجون، فإذا رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين؛ فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ}[الحجر:٢]" [(١)]

---

(١) *قال الهيثمي في "المجمع" (١١١٠٤):* "رواه الطبراني وفيه: خالد بن نافع الأشمري، قال أبو داود: متروك"، قال الذهبي: "هذا تجاوز الحد فلا يستحق الترك، فقد حدَّث عنه أحمد بن حنبل وغيره وبقية رجاله ثقات".

٤- مَن يخرجون من النار ويدخلون الجَنَّة يُسَمَّوْن بالجهنَّمِيُّون.

دليل ذلك ما أخرجه البخاري عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"يخرج قوم من النار بشفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيدخلون الجَنَّة؛ يُسَمَّوْن الجهنَّمِيُّون"

- وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد عن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

"لَيُخرِجنَّ الله من النار قوماً منتنين قد محشتهم النار، فيدخلون الجَنَّة بشفاعة الشافعين، يُسَمَّوْن فيها الجهنَّمِيُّون".

- وقد سمَّاهم الله تعالى عتقاء الجبَّار.

ففي حديث طويل أخرجه الإمام أحمد والدارمي عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه:

"... وفرغ من حساب الناس، وأدخل مَن بقي من أمتي في النار مع أهل النار، فيقول أهل النار: ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به شيئاً؟ فيقول الجبَّار: فبعزتي لأعتقنَّهم من النار، فيرسل إليهم، فيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيدخلون في نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في غثاء السيل، ويكتب بين أعينهم هؤلاء عتقاء الله، فيذهب بهم فيدخلون الجَنَّة، فيقول لهم أهل الجَنَّة: هؤلاء الجهنَّمِيُّون، فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار". (صححه الألباني في "ظلال الجَنَّة":٢/٤٠٧)

شبهة والرد عليها:

يقول الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى: {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٨١]، يستدلون بهذه الآية على مذهبهم الفاسد على خلود أهل الكبائر في النار.

- والرد عليهم كما يقول صديق حسن خان – رحمه الله –:

"المراد بالسيئة هنا الجنس، ولابد أن يكون سببها محيطاً به من جميع جوانبه، فلا تبقى له حسنة، وسدت عليها مسالك النجاة، والخلود في النار هو للكفار والمشركين، فيتعيَّن تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر والشرك، وبهذ يبطل تشبث المعتزلة والخوارج لما ثبت في السُّنَّة متواتراً بخروج عصاة الموحدين من النار.اهــ

(يقظة أولي الاعتبار: ص٦٧ بتصرف)

١٢) التَّـــذْكِيـــر بالـــنـــــار:

قال ابن رجب – رحمه الله – في كتابه "التخويف من النار":

"كان سعيد الجرمي يقول في وصف الخائفين: "إذا مرُّوا بآية فيها ذكر النار؛ صرخوا منها مزقاً – أي خوفاً – كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة نصب أعينهم".

وقد جعل الله تعالى أشياء في الدنيا تذكرنا بنار الآخرة؛ حتى لا ننساها، ونجتهد في الخلاص منها، ومن هذه الأشياء:-

- أولاً: نار الدنيا:

قال تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ{٧١} أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ{٧٢} نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ} [الواقعة:٧١-٧٣]، وقوله تعالى: {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً}، أي تذكر النار الكبرى: أى نار الآخرة (قاله مجاهد وقتادة). (مختصر تفسير ابن كثير:٣/٤٨٤)

- قال السعدي – رحمه الله – كما في "تفسير تيسير الكريم الرحمن" (ص ٨٣٥) عند الآية السابقة في قوله تعالى عن النار: {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً} أي تذكرة للعباد بنعمة ربهم، وتذكرة بنار جهنم التي أعدَّها لله للعاصين، وجعلها سوطاً يسوق به عبادة إلى دار النعيم. اهـــ

- قال الحسن- رحمه الله – : "كان عمر – رضي الله عنه – ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها، ثم يقول: يا ابن الخطاب، هل لك على هذا صبر؟".

- وكان الأحنف بن قيس: "يجيء إلى المصباح بالليل، فيضع إصبعه فيه، ثم يقول: "حس... حس" – ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟"

- وقال أبو نوح الأنصاري: "وقع حريق في بيت علي بن الحسين وهو ساجد، فجلعوا ينادونه: يا ابن رسول الله، النار، فما رفع رأسه حتى أُطفئت، فقيل: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: النار الأخرى".

- وعن عطاء الخراساني قال: "كان أويس القرني على موضع الحدادين، فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار؛ فيصرخ ثم يسقط". (التخويف من النار باختصار وتصرف)

وهكذا كان حال السلف الكرام إذا شاهدوا نار الدنيا أو ذاقوها، احترقت شهواهم بذكر نار الآخرة

- جاء في "كتاب التوابين" (ص١٦٢): "أن عبد الله بن مرزوق، وكان من حاشية الخليفة المهدي فشرب ذات يوم الخمر، وكان يستمع اللهو والغناء، فلم يُصلِّ الظهر والعصر والمغرب، فلما جاز وقت العشاء جاءت جارية تقية نقية بجمرة ملتهبة، فوضعتها على رجله فانزعج، وقال: ما هذا؟ قالت: جمرة من نار الدنيا، فكيف تصنع بنار الآخرة، فبكى بكاء شديداً، ثم قام إلى الصلاة، ووقع في نفسه مما قالت الجارية، فلم يرَ شيئاً ينجيه إلا بمفارقة ما هو فيه من ماله، فأعتق جواريه، وتحلَّل من معامليه، وتصدق بما بقي، حتى صار يبيع البقل، وتبعته على ذلك الجارية، فدخل عليه سفيان بن عيينة، والفضل بن عياض، فوجدا تحت رأسه لبنة وليس تحته شيء، فقال له سفيان: إنه لم يدع أحدٌ لله شيئاً إلا عوَّضه الله خيراً منه، فما عوَّضك مما تركت له؟ قال: الرضا بما أنا فيه".

تنبيه:

وإن كانت نار الدنيا تذكر بالآخرة، لكن شتان شتان ما بينهما، فنار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟! قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً، كلهنَّ مثل حرِّها".

- وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت في البحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد".

- ثانياً: حر الصيف الشديد، وبرد الشتاء القارص:

فهذه من الأمور التي تذكر بنار الآخرة، ويؤكد على هذا

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فأَذِن لها بنَفَسَيْن، نَفَسٍ في الشتاء ونَفَسٍ في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير[1]"

– وفي رواية أخرى عند الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "اشتكت النار إلى ربها، وقالت: أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نَفَسَيْن: نَفَساً في الشتاء، ونَفَساً في الصيف، فأما نَفَسَها في الشتاء فزمهرير، وأما نَفَسَها في الصيف فسَمُوم".

(السلسلة الصحيحة: ١٤٥٧)

فالنبي – صلى الله عليه وسلم – يبيِّن السر في شدة البرد في الشتاء، وكذا شدة الحر في الصيف، وأن هذا أصله من جهنم حتى لا يغفل الناس عن هذا، ويتذكروا جهنم، ولا يغفلوا عنها، ويعملوا لاتِّقاءها.

– ويؤكد النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا الارتباط أيضاً فيقول:

"أَبْرِدُوا بالصلاة – وفي رواية: "أَبْرِدُوا بالظهر– فإن شدَّةَ الحر من فيح جهنم".

(أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد – رضي الله عنه –).

ومعنى الحديث: إذا كان يوم شديد الحر فأَخِّروا الصلاة حتى تنكسر شدة الحر، فشدة الحر من فيح جهنم، يقول الإمام النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: "قال القاضي: "اختلف العلماء في معنى الحديث، فقال بعضهم: "هو على ظاهره، واشتكت النار حقيقة، وشدة الحَرِّ من وهجها وفيحها، وجعل الله تعالى فيها إدراكاً وتمييزاً بحيث تكلَّمت بهذا، ومذهب أهل السُّنَّة: أن النار مخلوقة، وقيل: "ليس هو على ظاهره، بل هو على وجه التشبيه والاستعارة والتقريب، وتقديره: "أن شدة الحَرِّ يشبه نار جهنم فاحذروه واجتنبوا حُرُوره، قال: والأول أظهر".اهـ (شرح النووي على مسلم: ٢/٤٠٦)

---

(١) الزمهرير: البرد الشديد.

- يقول ابن رجب – رحمه الله - كما في "لطائف المعارف" (ص٤٣٤):

"كل ما في الدنيا مذكرٌ للآخرة ودليل عليه، وفصول السنة تذكر بالآخرة؛ فشدة حر الصيف تذكر بحرِّ النار وهو من سَمُومها، وشدة برد الشتاء تذكر بزمهرير جهنم، وهو من زمهريرها، والخريف يكمل فيه اجتناء الثمرات التي تبقى وتدخل في البيوت، فهو منه على اجتناء ثمرات الأعمال في الآخرة، وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة، وهو يذكر بنعيم الجَنَّة وطيب عيشها". اهـ باختصار.

- وقال الحسن – رحمه الله -: "كل بردٍ أهلك شيئاً فهو من زمهرير جهنم، وكل حرٍّ أهلك شيئاً فهو من حر جهنم، فسبحان مَن جمع بين الضدين في النار".

- وقال القائل:

يذكرني الحر والبرد بالذي ... أخاف وأرجو والذي أتوقع

- وقال ابن قدامة – رحمه الله - كما في "مختصر منهاج القاصدين":

"وكان بعضهم إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة، يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجَنَّة أو النار، فإن الساعة تقوم في يوم الجمعة، ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجَنَّة في الجَنَّة، وأهل النار في النار، قاله ابن مسعود - رضي الله عنه - وتلا قوله: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} [الفرقان:٢٤]

- تحذير وإنـــذار:

كثير منا يتَّقِي حر الشمس لكنه لا يتَّقِي نار جهنم، فيقحم نفسه فيها بأقواله وأفعاله السيئة

- يقول أحمد بن حرب رحمه الله -: "إن أحدَنا يؤثر الظل على الشمس، ثم لا يؤثر الجَنَّة على النار"

- يقول أحدهم:

نسيت لظى عند ارتكابك للهوى ... وأنت توقَّى حر الشمس الهواجر

كأنك لم تدفن حميماً و لم تكن ... له في سياق الموت يوماً بحاضر

- وقال آخر:

تفرُّ من الهجير وتتقيه ... فهلا من جهنم قد فررنا

ولست تطيق أهونها عذاباً ... ولو كنت الحديد بها لذبتا

ولا تنكر فإن الأمر جدٌّ ... وليس كما حسبت أو ظننتا

- وكان داود يقول: "إلهي لا صبر لي على حر شمسك، فكيف صبري على حرِّ نارك؟"

- ومن هنا تعلم حماقة وجهل المنافقين الذين لا عقل لهم، حيث اتقوا حر الدنيا، فلم يخرجوا للجهاد، وهم بذلك يقحمون أنفسهم في نار الآخرة، وقد ذكر رب العالمين قولهم:
{... وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [التوبة:٨١]، أي: قل لهم يا محمد: "إن نار جهنم التي تصيرون إليها بمخالفتكم أشد حراً ممَّا فررتم منه من الحرِّ"

وقفة:

كان السلف الكرام يذكرهم حرُّ وبخار الحمام، حرَّ ودخان جهنم

يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: "نعم البيت الحمام، يدخله المؤمن فيزيل به الدَّرن، ويستعيذ به من النار".

(لطائف المعارف: ٣٤٧)

- ولما أُهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم: أدخله ابن أخيه الحمَّام، ثم أدخله بيتاً مطيباً، فقام يصلِّي حتى أصبح، وفعلت معاذة كذلك، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله، فقال له: إنك أدخلتني بالأمس بيتاً أذكرتني به النار، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به بالجَنَّة، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت". (التخويف من النار باختصار وتصرف)

- وقد علَّمنا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نتعوَّذ من جهنم في اليوم الشديد الحار، ونتعوَّذ منها كذلك في اليوم الشديد البرد.

فقد أخرج الدارمي أن الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"إذا كان يومٌ شديد الحرِّ، فقال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد حَرّ هذا اليوم؟! اللهم أَجِرْني من حرِّ جهنم، قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي منك، وقد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد، فقال العبد: لا إله إلا الله، ما أشد برد هذا اليوم؟! اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبداً من عبادي قد استجار بي من زمهريرك، وإني أشهدك أني قد أجرته، قالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: بيت يلقى فيه الكافر فَيَتَمَيَّز من شدة بَرْدِه".

- ثالثاً: الحُـــمـــّـــى

والحُمَّى التي تصيب الناس في الدنيا تذكرهم بنار الآخرة، فإنها من فيح جهنم

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"الحُمَّى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء".

– وفي رواية عند ابن ماجه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"الحُمَّى كيرٌ من جهنم، فنحَّوها عنكم بالماءِ البارد". (الصحيحة:١٨٢٢)،(صحيح الجامع: ٣١٨٩)

– قال ابن القيم – رحمه الله – كما في "زاد المعاد": "أما قوله – رحمه الله –: "الحُمَّى من فيح جهنم"، هو شدة لهبها، وانتشارها، ونظيره قوله: "شدةُ الحر من فيح جهنم"، وفيه وجهان:-

أحدهما: أن ذلك أنموذج ورقيقةٌ اشتقت من جهنم؛ ليستدل بها العباد عليها ويعتبروا بها، ثم إن الله سبحانه قدَّر ظهورها بأسباب تقتضيها.

والثاني: أن يكون المراد التشبيه، فشبَّه شدة الحُمَّى ولهبها بفيح جهنم، وشبَّه الحر به أيضاً تنبيهاً للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهةٌ بفيحها، وهو ما يصيب مَن قَرُبَ من حرها" اهـــ بتصرف.

والحُمَّى تطهر المؤمن من الذنوب، وتُنَقِّيه من الخطايا

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر – رضي الله عنه – قال: "دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أم السائب – أو أم المسيب –، فقال: ما لك تُزَفْرِفِين؟[1] قالت: الحُمَّى لا بارك الله فيها، فقال: لا تسبي الحُمَّى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير[2] خبث الحديد".

والحُمَّى كذلك يُكْتَب بها الحسنات

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال:

"يا رسول الله ما جزاء الحُمَّى؟ قال: تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق"

(١) تُزَفْرِفِين: الحركة بسرعة، والمراد ما يحصل للمحموم من الرعدة – يعني: ترتعدين.

(٢) الكير: جلد غليظ ينفخ به النار.

- وطالما أن الحُمَّى يُكتَب بها الحسنات ويُمْحَى بها السيئات؛ فهي سبيل المؤمن للنجاة من النار

وهذا ما أخبر به الحبيب المختار - صلى الله عليه وسلم -، حيث بيَّن أن الحُمَّى نصيب المؤمن من النار يوم القيامة.

فقد أخرج الطبراني في "الكبير"عن أبي ريحانة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"الحُمَّى كِيرٌ من جهنم، وهي نصيبُ المؤمنِ من النَّارِ". (صحيح الجامع:٣١٩٠)

- وفي رواية عند ابن أبي الدنيا من حديث عثمان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"الحُمَّى حظ المؤمن من النار يوم القيامة". (الصحيحة:١٨٢١)، (صحيح الجامع:٣١٨٦)

- وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا عاد مريضاً أصابته الحُمَّى يقول له: "أبشر، فإن الله تعالى يقول: إنما هي ناري أُسَلِّطها على عبدي المؤمن في الدنيا، فتكون حظَّه من النار يوم القيامة".

(أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه)، (وهو في صحيح الجامع: رقم ٣٢)،(والصحيحة: ٥٥٧)

- ولهذه العلة كان سفيان الثورى – رضي الله عنه -: إذا دخل على مريض يعوده، فإنه يقول له:

"عافاك الله من النار" (حلية الأولياء:٨/٣٥٥)

وأسأل الله تعالى أن يشفيَ كل مريض، ويعافي كل مبتلى، وأن يجعل هذا المرض في ميزان حسناتهم كما أساله - رضي الله عنها - أن يرضى عنا ويُدْخِلَنا جنته، ويقينا عذابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك